دلالةُ الأسماءِ والأفعالِ في سُورةِ محمد ﷺ

علي افْضَيلة خضير الشمري
محافظة واسط - العراق

فحوى البحث

يدرس البحث بعض الالفاظ من الاسماء والأفعال التي وردت في سورة محمد من حيث الدلالة الظاهرة والمجازية والاصطلاحية اعتماداً على أشهر التفاسير والمعاجم اللغوية وكتب الدلالة اللفظية. وربما احتاج الباحث لمعرفة دلالة كلمة في آية، الى الاستشهاد بآية أخرى وهو أمر فيه من إبراز الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم ما فيه.

المقدمة

من أجل أن يصل القارئ إلى المراد من النص القرآني فلابد له من أن يلجأ إلى دلالة الكلمة المفردة سواء أكانت هذه المفردة اسماً أم فعلاً وهذا هو الطريق الذي سلكه أكثر الباحثين والعلماء للوصول إلى الأحكام ولعرفة المستويات الدلالية والتركيبية للنصوص القرآنية وغيرها، وقد وردت في سورة محمدﷺ بعض الألفاظ (اسم أو فعل) والتي كان لها أثر كبير في البنية الدلالية للنص وفيما يأتي تفصيل لبعض هذه الألفاظ.

أوزارها:

لغة: وزر: ألحمل الثقيل، الوزر الذنب لثقله وأوزار الحرب وغيرها: الأثقال والآلات والأوزار السلاح. قال الأعشى:

وأعددت للحرب أوزارها

رماحاً طوالاً وخيلاً ذكوراً

ومن نسج داود يحدو بها

على أثر الحي عيراً فعيرا[1].

اصطلاحاً: سميت أوزارها، لأنه لا بد من جرها فكأنها تحملها وتستقل بها فإذا انقضت فكأنها وضعتها. وقيل أوزارها: آثامها، يعني حتى يترك أهل الشرك الحرب وهم المشركون شركهم ومعاصيهم بأن يسلموا)[2]، أما الوزر والأوزار فجاءت بمعنى الحمل الثقيل في آية طه ١٨٧، وبمعنى الآثم في آيات: الأنعام (١٦٤)، (٣١)، وفاطر (١٨) والزمر (٧) والنحل (٢٥) وطه (١٠٠)، وكلها مكية وجاءت مع الحرب في سورة محمدﷺ، وهي المرة الوحيدة التي استعملت فيها مادة وزر، وقد كان مدار أن المادة في القرآن على معنى:

ثقل العبء، ويؤيده اقترانها بلفظ (وضع) الذي رأينا غلبة استعماله في التخفف مما ثقل وأرهق وأجهد[3].

آسن:

لغة: أي غير متغير الطعم والريح لطول مكثه)[4] و ((الآسن من الماء مثل

(١) ينظر إلى مجمع البيان للطبرسي ٩/ ١٦٠. حد الإبل وبهار -ساقها وغنّى لها. حد الليل: أتبعه. لسان العرب ١٥/ ٢٠٠٢ مادة وزر.

(٢) الكشاف ٣/ ٥٣١.

(٣) التفسير البياني للقرآن الكريم ١/ ٥٩.

(٤) روح المعاني ٦/ ٨٣.

الآجن وقد (أسن) من باب ضرب ودخل، وأسن فهو (آسن) من باب طرب لغة فيه))[٥].

وفي مجمع البيان: قرأ ابن كثير (أسن) مقصوراً والباقون: (آسن) بالمد، وقرأ علي عليه السلام وابن عباس: (أمثال الجنة) على الجمع[٦].

اصطلاحاً:

(عن سعد بن طريف قال: سألت أبا إسحاق عن ماء غير آسن، قال: سألت عنها الحارث، فحدثني أن الماء الذي غير آسن تسنيم قال: بلغني أنه لا تمسه يدٌ وأنه يجيء الماء هكذا حتى يدخل في فيه)[٧].

وفي حديث مرفوع أورده ابن أبي حاتم (غير آسن يعني الصافي الذي لا كدر فيه)[٨].

(وروي عن معمر عن قتادة (من ماء غير آسن) قال غير منتن.

وقال قتادة: الآسن المتغير الآجن. قال أبو جعفر: ورأي قتادة هو الأصح: لأنه يقال: أسن الماء بأسن فهو آسن وأسن إذا أنتن فلم يقدر أحد على شربه وأجن فهو آجن إذا تغير وإن كان شرب على كره)[٩].

قال أبو عبيدة: الآسِنُ: المتغير[١٠] فحجة ابن كثير أن اسم الفاعل من فَعَلَ يفعل على فَعِل وقال أبو الحسن: أسِن إنما هو للحال التي تكون عليها. ومن قرأ (آسن) على فاعل، فإنما يريد أن ذلك لا يصير إليه فيما يستقبل. وقوله (أمثال الجنة) فيه دليل على أن القراءة العامة التي هي مثل في معنى الكثرة لما فيه من معنى المصدرية[١١]

وفي تفسير الميزان: قوله: (أنها من ماء غير آسن) أي غير متغير يطول المقام[١٢].

* * *

الحميم لغة: (العين الحارة يستشفي بها الأَعِلاّءُ والمرضى، حمَ بنفسه صار حاراً، يحم بالفتح حماً بفتحتين[١٣].

اصطلاحاً: تفسير الحميم على وجهين:

(٥) مختار الصحاح ١٧ مادة: أسن.
(٦) مجمع البيان للطبرسي ٩/ ١٦٥.
(٧) تفسير الطبري ١٦/ ٤٨.
(٨) تفسير القرآن العظيم ٤// ١٧٦.
(٩) معاني القرآن الكريم ٦/ ٤٥٦.
(١٠) الريح.
(١١) مجمع البيان ٩/ ١٦٦
(١٢) تفسير الميزان ١٨/ ٢٣٦ للسيد الطباطبائي.
(١٣) مختار الصحاح ١٥٧ مادة حم.

الوجه الأول: القريب ذو الرحم فذلك قوله ﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ [سورة المعارج: ١٠].

الوجه الثاني: الحميم يعني الحار قوله ﴿وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾[١٤].

وقال الزمخشري: ماء حميم قيل إذا دنا منهم شوى وجوههم وانماز فروة رؤوسهم فإذا شربوه قطع أمعاءهم)[١٥].

ولما كانت المقابلة الصورية هي السمة الأساس لقوام السورة، لذا فإن لفظتي (آسن وحميم) تدلان على استمرارية المقابلة فذاك ماء صافٍ لا كدر فيه لم يتغير طعمه ولا رائحته ولم يشرب عن كره، وهذا ما أعده الله لهم في النار وكيف أنهم يسقون الحميم مرغمين مكرهين عليه. وتتجلى لنا من هذا كله صورتان حيتان متباينتان تمام التباين تدلنا إليها بأقصر عبارة وأجمل أسلوب.

هدى لغة: الهدى (ضد الضلال، وهو الرشاد). و (هدى الله هو الهدى) أي الصراط الذي دعا إليه وهو الطريق الحق.

(١٤) الوجوه والنظائر ٣/ ٥٣٤.
(١٥) الكشاف ٣/ ٥٣٤.

والهدى: الطاعة والورع)[١٦] (الهدى: الرشاد والدلالة)[١٧].

اصطلاحاً:

(اعلم أن الهدى سبعة عشر وجهاً نورد بعضاً منها: البيان -دين الإسلام -الإيمان- الأمر -الداعي -الرسل -الكتب- المعرفة-الرشد... وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى﴾ وردت لفظة الهدى بمعنى (الأمر) أي: أمر محمد الهدى) إنه رسول الله[١٨].

وفي قوله تعالى: ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى﴾ هم أهل الكتاب الذين كفروا بمحمد ﷺ بعد ما عرفوه ووجدوا نعته في كتابهم)[١٩].

ووردت أيضاً لفظة (الهدى) في أية أخرى لتدل على معانٍ يتجلى فيها الإعجاز القرآني وذلك في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ

(١٦) لسان العرب: ١٥/ ٤١ ـ ٤٢، مادة (هدى).
(١٧) مختار الصحاح ٦٩٢ مادة (هدى).
(١٨) كشف السرائر ٢٩ ـ ٣٠.
(١٩) البغوي ٤/ ١٨٤.

﴿تَقْوَىٰهُمْ﴾[سورة محمد: ١٧].

فللفظة (هدى) في هذه الآية أربعة أقوال: أحدها: زادهم علماً. والثانية: أنهم علموا ما سمعوا وعملوا بما علموا، والثالث: زادهم بصيرة في دينهم وتصديقاً لنبيهم، والرابع: شرح صدورهم بما هم عليه من الإيمان)[٢٠] وقال البيضاوي: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى﴾ أي زادهم الله بالتوفيق والإلهام)[٢١] وأحب في هذا المقام أن انقل أنواع الهداية ليتبين لنا أي نوع قد عنى الله بقوله ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى﴾.

قال ابن القيم: (أعلم أن أنواع الهداية أربعة: أحدهما: الهداية العامة المشتركة بين الخلق والنوع الثاني: هداية البيان والدلالة والتعريف لنجدي الخير والشر وطريقي النجاة والهلاك وهذه الهداية لا تستلزم الهدى التام أما النوع الثالث: فهداية التوفيق والإلهام وهي الهداية المستلزمة للاهتداء وأخيراً النوع الرابع غاية هذه الهداية وهي الهداية إلى الجنة والنار إذا سبق أهلها إليها)[٢٢].

ومن خلال التفاسير يتضح لنا أن النوع الثاني والثالث هما المقصودان في الآية الكريمة، أي أن الهداية الأولى هداية البيان والهداية الثانية: هداية التوفيق والإلهام.

أشراطها: ((الشرط: العلامة) وأشراط كل شيء: ابتداء أوله)[٢٣].

لغة: (الشرط) بفتحتين العلامة وأشراط الساعة علاماتها)[٢٤].

اصطلاحاً:

الشرط بمعنى العلامة قال الله تعالى: (فقد جاء أشراطها أي: علاماتها، والشرط شرعاً: ما يلزم من عدمه العدم ولا يلزم من وجوده الوجود[٢٥].

قال الزمخشري: (والأشراط العلامات، قال أبو الأسود:

فإن كنت قد أزمعت بالصرم بيننا

فقد جَعَلَتْ أشراط أوَّلِه تبدو

وقيل مبعث محمدﷺ منها وانشقاق القمر)[٢٦].

(وقيل أشراط الساعة: أسبابها التي

(٢٠) تفسير القرطبي ١٦/ ٢٣٦.
(٢١) تفسير البيضاوي ٢/ ٩٨٧.
(٢٢) بجائع الفوائد ٢/ ٣٥ـ٣٦.
(٢٣) لسان العرب ٨/ ٥٦ ـ ٥٧ مادة أشراط.
(٢٤) مختار الصحاح ٣٣٤ مادة شرط.
(٢٥) كشف السرائر ١٣٨.
(٢٦) الكشاف ٣/ ٥٣٥.

هي دون معظمها ومنه يقال: للدون من الناس، وواحد الأشراط وأصله الإعلام.

ومنه قبل الشرط لأنهم جعلوا لأنفسهم علامة يعرفون بها)[٢٧].

((فقد جاء أشراطها) أشراط جمع شرط بالتحريك، وهذه الجملة تعليل لمفاجأتها على معنى: أنه لم يبق من الأمور الموجبة للتذكر أو مترقب ينظرونه سوى اتيان الساعة نفسها، إذ قال جاء أشراطها فلم يرفعوا لها رأساً، والرسالة، الأخيرة هي أضخم هذه العلامات، فقد قال الرسول ﷺ بعثت أنا والساعة كهاتين ـ وأشار بأصبعيه السبابة والتي تليها)[٢٨].

لحن: لغة: (للحن ستة معاني: الخطأ في الإعراب واللغة، والغناء والفطنة والتعريض والمعنى)[٢٩].

وقوله تعالى: (في لحن القول أي: نحوه معناه وفحواه)[٣٠].

اصطلاحا:

﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ أي: فيما يبدو من كلامهم الدال على مقاصدهم بفهمهم المتكلم من أي الحزبين وهو بمعنى كلامه وفحواه وهو المراد من لحن القول مثلاً:

(ما أسرَّ أحدٌ سريرةً إلا أبداها الله على صفحات وجهه وفلتات لسانه)[٣١].

(ولحن القول قال الراغب: اللحن صرف الكلام عن سننه الجاري عليه إما بإزالته عن التصريح وصرفه عن معناه إلى تعريض.

وهو محمود من حيث البلاغة، وإياه قصد بقوله تعالى ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ وعن أنس: ما خفي بعد هذه الآية على رسول الله ﷺ شيء من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم ولم يكن بعد قد كشف عن نفر منهم بأعينهم وأسمائهم وكان يعرفهم من فلتات لسانهم وما يجري به كلامهم من غير أن يقصدوا)[٣٢].

تعساً: لغة (تعس العثر، والتعس أن لا نتعس العائر من عثرته وأن ينتكس في سفال.

(٢٧) القرطبي ١٦/ ٢٤٠.
(٢٨) لغة المنافقين ٢/ ١٢٠.
(٢٩) لسان العرب ١٣/ ١٨٣ مادة: لحن.
(٣٠) التبيان في تفسير غريب القرآن ١/ ٣٨٣.
(٣١) تفسير القرآن العظيم ٤/ ١٨٠.
(٣٢) لغة المنافقين ٢/ ١٣٧.

التعس: الانحطاط والعثور، قال أبو إسحاق وفي قوله تعالى ﴿فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ أن يكون نصباً على معنى أتعسهم الله، والتعس في اللغة الانحطاط والعثور.

والتعس أيضاً الهلاك، والتعس في كلامهم الشر، وقيل التعس البعد، وقال الرستمي: التعس أن يخر على وجهه والنكس: أن يخر على رأسه)[٣٣] و (تعس: من باب قطع، وأتعسه الله ويقال: (تعساً) لفلان أي ألزمه الله هلاكاً)[٣٤].

اصطلاحاً:

وفيها عشرة أقوال: الأول: بعداً لهم، والثاني: حزناً لهم والثالث: شقاءً لهم، والرابع: شتماً لهمم من الله والخامس: هلاكاً لهم،، والسادس: خيبة لهم والسابع قبحاً لهم والثامن: رغماً لهم والتاسع: شراً لهم والعاشر: شقوة لهم.

وقيل: أن التعس الانحطاط والعثار)[٣٥] وقال ابن كثير: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُمْ﴾ عكس تثبيت الأقدام للمؤمنين الناصرين لله تعالى ولرسوله ﷺ[٣٦].

ونستخلص من هذه المصطلحات اللغوية والاصطلاحية أن لفظة (تعساً) قد وردت في هذه الآية لتشير إلى دلالة بليغة ولتكمل لنا صور المقابلة والمفاضلة بين المؤمنين والكفار.

فالمؤمنون الناصرون لله تعالى ولدينه يثبت الله تعالى أقدامهم، أما الكفار (فتعساً لهم)) أي بعداً وعثاراً وشراً وهلاكاً لهم وبذلك تحققت المقابلة بين الصورتين التي دلت عليها اقل الألفاظ وأقصر العبارات، قال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور: (ومن بدائع القرآن وقوع (فتعساً لهم) في جانب الكفار في مقابلة قوله للمؤمنين (ويثبت أقدامهم)[٣٧].

عسى لغة: (عسى: طمع واشفاق وهي من الأفعال (غير المتصرفة)[٣٨]، (تستعمل عسى استعمالين: تستعمل بمعنى (قارب) فتحتاج إلى مرفوع

(٣٣) لسان العرب ٢/ ٢٢٦ مادة تعس.
(٣٤) مختار الصحاح ٧٧ مادة تعس.
(٣٥) القرطبي ١٦/ ٢٣٢.
(٣٦) تفسير القرآن العظيم ٤/ ١٧٤.
(٣٧) التحرير والتوير ٢٦/ ٨٥.
(٣٨) لسان العرب ١٠/ ٥٤ مادة عسى.

ومنصوب ليس أصلها مبتدأ وخبر.

أما الاستعمال الثاني: فتستعمل بمعنى (قرب) فتكتفي بالمرفوع فقط)[٣٩].

اصطلاحاً:

ورد في سورة محمد لفظة (عسى) في قوله تعالى: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾.

فماذا يستفاد منها وما هي دلالتها: ((ولفظ عسى في أصل وضعها للتوقيع، وهنا يستفاد منها التأكيد، لا من لفظها ولكن لأنها صادرة من الله تعالى، فما يفيد التوقع والطمع ممن لا يعلم الغيب، يفيد التحقيق ممن يعلمه ولا يتصور في الله سبحانه وتعالى إلا الصدق وذكر ذلك بلفظ (عسى) التي تدل على الترجي ليكون العبد بين الترجي والاشفاق لكنه على نيل ما يرجوه أقرب)[٤٠].

وقد اسند الضمير البارز إلى (عسى)) بعد أن كانت الضمائر التي سبقتها مستترة فما سبب هذه الانتقالة.

قال الزمخشري: (وقد نقل الكلام من الغيبة إلى الخطاب على طريقة الالتفات ليكون أبلغ في التوكيد)[٤١].

سوّل لغة: (سول سولت له نفسه كذا زينته له.

سول له الشيطان أغواه وأنا سويلك في هذا الأمر عديلك)[٤٢].

(سول لهم) أي: (زين لهم)[٤٣].

اصطلاحاً:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ۙ ٱلشَّيْطَـٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ ﴾. قال البيضاوي: ﴿ٱلشَّيْطَـٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ ﴾ سهّل لهم اقتراف الكبائر من السول وهو الاسترخاء وقيل حملهم على الشهوات من السول (وهو التمني)[٤٤].

وقال الزمخشري: (سوّل لهم، سهّل لهم ركوب العظائم من السول (وهو الاسترخاء)[٤٥].

و ﴿ٱلشَّيْطَـٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ ﴾ سهّل لهم ركوب العظائم من السَّوَلِ بفتحتين وهو

(٣٩) شرح جمل الزحامي ٢/ ١٧٩.
(٤٠) لغة المنافقين ٢/ ١٢٦ـ ١٢٧.
(٤١) الكشاف ٣/ ٥٣٦.
(٤٢) لسان العرب ١١/ ٣٥٠ مادة سوّل.
(٤٣) التبيان تفسير غريب القرآن ١/ ٣٨١.
(٤٤) تفسير البيضاوي ٢/ ٩٨٧.
(٤٥) الكشاف ٣/ ٥٣٧.

الاسترخاء استعير التسهيل كأنه شبه إرخاء ما كان مشدوداً)[٤٦].

نستخلص من هذا كله أن (التسويل) هو أحد خطوات الشيطان يزين للمنافقين أعمالهم ويسهّل لهم ركوب الأعمال العظيمة، وهذا التسويل يؤدي بالمنافقين إلى الدرك الأسفل من النار والعياذ بالله.

يحفكم لغة: الحَفَفُ: (الضيق وقلة المعيشة، طعام حفيف أي: قليل ومعيشة حفيف: ضنك، وقال الأصمعي: أصابهم من العيش حفف وقشف، كل هذا من شدة العيش)[٤٧].

قال الزمخشري: (والاحفاء المبالغة وبلوغ الغاية في كل شيء يقال: أحفاه في المسألة: إذا لم يترك شيئاً من الإلحاح، وأحفى شاربه إذا استأصله)[٤٨].

اصطلاحاً:

قال البيضاوي: ﴿إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ﴾ فيجهدكم بطلب الكل[٤٩].

وقال ابن كثير: ﴿إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟﴾ أي يحوجكم تبخلوا[٥٠]، ﴿فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟﴾ يلح عليكم)[٥١].

وقال الطبري: (﴿إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟﴾، يقول جل ثناؤه: إن سألكم ربكم أموالكم فيحفكم يقول: فيجهدكم بالمسألة ويلح عليكم بطلبها منكم فيحف تبخلوا يقول: تبخلوا بها وتمنعوها إياه ضناً منكم بها ولكنه علم ذلك منكم ومن ضيق أنفسكم فلم يسألكموها)[٥٢].

الخاتمة

ابرز النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث:

- لمعرفة معنى القرآن الكريم لابد من التعرف على دلالة كلماته المفردة والمركبة، وسواء أكانت أسماءً أم أفعالا.
- وأحياناً نحتاج لمعرفة دلالة الكلمة

(٤٦) لغة المنافقين ٢/ ١٣٠.
(٤٧) لسان العرب ٩/ ٤٩ مادة حفف.
(٤٨) الكشاف ٣/ ٥٣٩ وينظر تفسير البيضاوي ٢/ ٩٩٠.
(٤٩) تفسير البيضاوي ٢/ ٩٩٠.
(٥٠) تفسير القرآن العظيم ٤/ ١٨٢.
(٥١) القرطبي ١٦م ٢٥٧.
(٥٢) الطبري ١٣/ ١٦٥.

الاستشهاد بآيات أخرى، ومن بين هذه الألفاظ (تعساً)، فهي تشير إلى دلالة بليغة، وكذا من صور المقابلة والمفاضلة بين المؤمنين والكفار، فهي في الكفار مقابلة لقوله تعالى: (ويثبت أقدامهم) للمؤمنين، وأيضاً لفظة (سوّل)، فهي من خطوات الشيطان التي تزين للمنافقين أعمالهم، وتسهل لهم ركوب الأعمال العظيمة، وبالتالي يؤدي بهم على الدرك الأسفل من النار.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.